



مايكل روبرتس*: يانوش كورناي: عن الرأسمالية والاشتراكية

ترجمة: مصباح كمال**

نشر النص الإنجليزي للمقال في موقع الاقتصادي الماركسي مايكل روبرتس:

<https://thenextrecession.wordpress.com/2021/11/11/kornai-on-capitalism-and-socialism/>

توفي يانوش كورناي János Kornai مؤخرًا عن عمر يناهز 93 عامًا [1928-2021]. كان خبيرًا اقتصاديًا مجريًا معروفًا بتحليله وانتقاده للاقتصاديات الموجهة/الأوامرية command economies في الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية. نال استحسانًا واسعًا في الأوساط الأكاديمية الغربية. انضم في النهاية إلى هيئة التدريس في جامعة هارفارد وكان عضوًا في مجلس إدارة البنك المركزي المجري بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. يصف أليك نوف Alec Nove المتخصص البارز في الدراسات السوفيتية عمل كورناي بأنه "عرض مُتقن لطبيعة عمل النظام من النوع السوفيتي، وتفسير بارع مماثل لفشل محاولات إصلاحه".

بدأ كورناي تحليله الفكري لـ "الاشتراكية" كماركسي ملتزم. لكنه أصيب بخيبة أمل من النظام المجري للاقتصاد المخطط بعد قمع الثورة المجرية عام 1956. وفي كتابه الصادر عام 1980، اقتصاديات النقص Economics of Shortage، ربما يكون أكثر أعماله تأثيرًا في الدوائر الاقتصادية السائدة (وبين اليساريين)، جادل بأن النقص المزمن الذي شوهد في جميع أنحاء أوروبا الشرقية في أواخر السبعينيات واستمر في الثمانينيات من القرن الماضي لم يكن نتيجة لأخطاء المخططين أو التسعير الخاطئ، ولكن بسبب عيوب منهجية في آلية التخطيط. التخطيط لا يعمل.

في كتابه الصادر عام 1988، النظام الاشتراكي، الاقتصاد السياسي للشيوعية، جادل بأن الاقتصاد الموجه القائم على سيطرة بدون منازع من قبل حزب شيوعي ماركسي-لينيني يؤدي إلى هيمنة الإدارة البيروقراطية لشركات الدولة من خلال التخطيط والإدارة المركزيين، واستخدام "التسعير الإداري" لإزالة آثار السوق. ويُتوج هذا بالنقص وسوء تخصيص الموارد.

شخص كورناي النظام الاقتصادي السوفيتي بأنه يختلف اختلافاً جوهرياً عن الرأسمالية أو "الديمقراطية البرجوازية" من وجوه ثلاثة: (1) حكم الحزب الشيوعي الذي يسترشد



أوراق في الاقتصاد السياسي

بأيدولوجية "الماركسية اللينينية"؛ 2) هيمنة الملكية العامة على الاقتصاد؛ و 3) غلبة "التنسيق البيروقراطي" في التخطيط. بالنسبة لكورناي، كان هذا هو تعريف الاشتراكية في الممارسة العملية. فكل الدول التي تبنت هذه الخصائص الثلاث بعد الثورات ضد رأس المال هدفت إلى "النمو القسري" من خلال التخطيط البيروقراطي غير الديمقراطي الذي أدى إلى تقلبات في التوسع الاقتصادي.

رغم كورناي في تشخيصه على إحدى ميزات هذا النظام: ما أسماه "قيود الميزانية الناعمة" 'soft budget constraint' حيث يمكن للمنشآت الحكومية أن تتكبد خسائر ويتم تمويلها بغض النظر عن "ظروف السوق" والربحية، على عكس الاقتصادات الرأسمالية. لقد كانت "الميزانيات الناعمة" في نظر كورناي كارثية بالنسبة للكفاءة وتسببت في النقص. وفي النهاية لم تكن المشكلة هي الافتقار إلى الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي و "الاقتصادات الموجهة" المماثلة؛ لقد كانت المشكلة تكمن في طبيعة التخطيط بدون أسواق وأسعار لتخصيص الموارد. لذا انتقل كورناي من مؤيد لنهاية الرأسمالية في المجر إلى قبول وجهة نظر المدرسة النمساوية والاقتصاد السائد بأن الاقتصادات المخططة المملوكة ملكية عامة لا يمكن أن تنجح.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن فكرة الميزانيات "الناعمة" و "الصلبة" (وهذا الأخير يعني أن الهدف يجب أن يكون تحقيق أقصى ربحية) يدعمها أولئك الذين لا يؤيدون الرأسمالية فحسب، بل يدعمون أيضاً التقشف في معارضة لزيادة من الإنفاق الحكومي "الناعم". خذ على سبيل المثال ماثيو كلاين Matthew Klein "الكينزي الليبرالي" المزعوم من صحيفة فايننشال تايمز البريطانية في إشارات بمفاهيم كورناي. يكتب كلاين: "يجب على أي شخص يفكر بجديّة في المخاطر والمكافآت المحتملة لمزيج السياسات الذي قد يسمى "الكينزية الكاملة" أن يأخذ في الاعتبار أفكار الاقتصادي يانوش كورناي، الذي توفي الشهر الماضي." كلاين اشترك مع مايكل بيتيس Michael Pettis في تأليف كتاب الحروب التجارية والحروب الطبقيّة الحائز على جوائز، وهو كتاب يقدم تعليلاً كينزياً للاختلالات العالمية.

من المثير للاهتمام ملاحظة أن فكرة الميزانيات "الناعمة" و "الصلبة" (وبالنسبة لكورناي، فإن نموذج الأساس للميزانيات "اللينة والصلبة" هو روسيا السوفيتية. وقد أظهر كورناي إعجاباً كبيراً بالنجاح الاقتصادي للصين. وجاء هذا الإعجاب لأن الصين تخلت عن اثنتين من سماته الثلاث [السمات الثلاث لكورناي] لنموذج ما بعد الرأسمالية. فقد حافظت الصين على الاحتكار السياسي للحزب الشيوعي، لكنها سمحت للأسواق الرأسمالية بالازدهار. ولهذا نجحت في حين أن الاتحاد السوفيتي انهيار. كتب كورناي: إن هيكل الملكية خضع لتغييرات جوهرية تخلق فيها القطاع المملوك للدولة



أوراق في الاقتصاد السياسي

عن دوره الريادي. وتم تقليص دور التنسيق البيروقراطي والإدارة المركزية بشكل كبير وحل محله السوق إلى حد كبير. إن الصين ليست نظامًا اشتراكيًا كلاسيكيًا وهي أقرب إلى نظام رأسمالي نموذجي."

جادل كورناي بأن النجاح الاقتصادي للصين كان ممكنًا فقط لأنها تخلت عن التخطيط المركزي وهيمنة الدولة وانتقلت إلى الرأسمالية. ووافق كورناي على حجج الاقتصاديين المؤيدين للسوق مثل أليك نوف Alec Nove بأن التعقيد في ملايين المعاملات في الاقتصاد الوطني جعل الحسابات لتنظيم وتخطيط الاقتصاد بشكل فعال مستحيلًا. وجادل بأن السوق الحرة هي وحدها القادرة على تنفيذ هذه الوظائف، والتي تقوم بها "تلقائيًا". فالمنافسة على الأسواق بين المنتجين والبائعين في ظل الرأسمالية، تولد تنافسًا شرسًا بين الرأسماليين. وهذا يجعل الرأسمالية "ديناميكية ومبتكرة بطبيعتها". إن عملية الاختراع invention في ظل الاشتراكية لا يقابلها ابتكار مقابل innovation، والذي يتضمن "تنظيم الإنتاج ونشر المنتج الجديد أو تطبيق شكل تنظيمي جديد". ويكمن الاستيعاب البطيء للابتكارات الجديدة في ظل "الاشتراكية"، من وجهة نظر كورناي، في غياب "ريادة الأعمال المبتكرة".

كل هذه الحجج ضد التخطيط (ديمقراطي أو غير ذلك) هي الأيديولوجية الأساسية للاقتصاد الرأسمالي السائد. ومع ذلك، فقد تم دحض هذه الحجج التي ساقها فون مايزس Von Mises ونوف وكورناي من قبل العديد من الاقتصاديين الماركسيين في العقود القليلة الماضية، حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. فإجراء حسابات التخطيط يُعد أمرًا ممكنًا تمامًا، خاصة مع أجهزة الكمبيوتر الحديثة (الكمومية أو غير ذلك) والتطورات في الرياضيات.

علاوة على ذلك، وخلافًا لوجهة نظر كورناي (ورأي العديد من الاقتصاديين المؤيدين للرأسمالية)، لم يكن الاتحاد السوفيتي فشلًا اقتصاديًا، كما جادل في مقال سابق. إن الخطوات التي تم إحرازها في التوسع الاقتصادي ومستويات المعيشة (على الرغم من الكوارث المروعة للعصر الستاليني) قد رفعت مستويات المعيشة الروسية إلى ما هو أعلى من الاقتصادات الأكثر ثراءً في أمريكا اللاتينية وحتى جنوب أوروبا.



أوراق في الاقتصاد السياسي

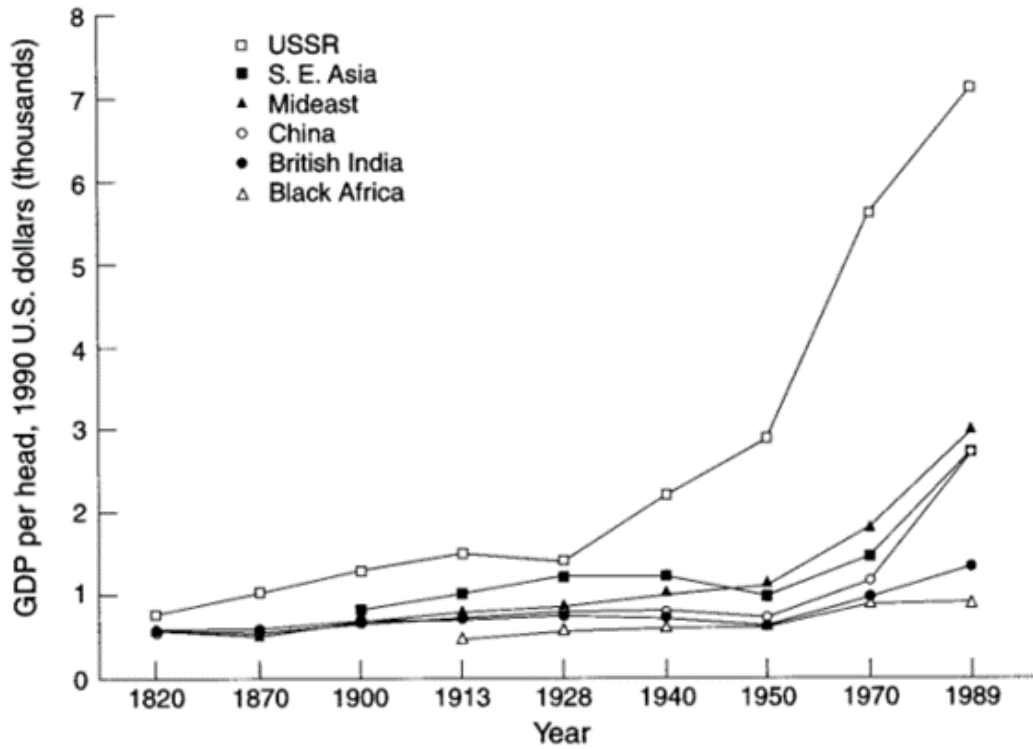


Fig. 1.5. USSR versus the Rest of the World. Source: Table 1.1.

بالنسبة لكورناي، نظرًا لأن النظام الاقتصادي الاشتراكي مستحيل، وأنه فشل في روسيا السوفيتية وتم التخلي عنه في الصين، فقد اختزل الأمر بالتفكير فقط في "أنواع مختلفة من الرأسمالية": أي الديمقراطية والاستبداد والديكتاتورية. وفقًا لكورناي، لا يمكن أن توجد الديمقراطية (غير المعروفة) إلا في ظل الرأسمالية حيث تقتصر الاشتراكية على الأشكال الديكتاتورية والاستبدادية: "الاشتراكية الديمقراطية مستحيلة".

حجة كورناي هي أن الاشتراكية نظام تاريخي يعتبر حكمه السياسي والاقتصادي تجربة مغلقة للبشرية. كان هذا الرأي قريبًا جدًا من وجهة نظر الاقتصادي السابق بالبنك الدولي برانكو ميلانوفيتش Branco Milanovic والاشتراكي إلى حد ما، الذي يجادل أيضًا في كتابه الأخير الرأسمالية وحدها، بأنه لا توجد سوى أشكال مختلفة من الرأسمالية متاحة في المستقبل المنظور؛ إما "الغرب الديمقراطي الليبرالي" أو "الصين الأوتوقراطية". ويعتقد ميلانوفيتش أن الرأسمالية وحدها ليست فقط النمط المهيمن



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

للإنتاج على مستوى العالم، ولكنها موجودة لتبقى. ويخلص إلى أن "الرأسمالية تُخطئ كثيراً، ولكنها صحيحة كثيراً أيضاً – وليس مألها إلى أي مكان. مهمتنا هي تحسينها."

كما يعترف كورناي وميلانوفيتش، فقد حققت الصين نموًا في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي ومتوسط مستويات المعيشة في 70 عامًا بشكل أسرع من أي اقتصاد آخر في تاريخ البشرية. وإذا تم تحقيق ذلك من خلال تبني نمط الإنتاج الرأسمالي، فإن ذلك يثير احتمال أن الرأسمالية ليست في "عصر الأفل"، ولكن بدلاً من ذلك لديها فرصة جديدة للحياة في دفع البشرية إلى الأمام. لكنني أذكر القراء أنه في الفترة من 1952 إلى 1978 عندما كان لدى الصين اقتصاد مخطط مملوك للدولة بالكامل، حيث تم استبدال نمط الإنتاج الرأسمالي، حققت الصين نمو إجمالي الناتج المحلي الحقيقي بنسبة 6-7٪ سنويًا. علاوة على ذلك، هل كان للرأسمالية حقًا فرصة جديدة للحياة على مستوى العالم؟ لقد تباطأ نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي في الاقتصادات الرأسمالية الرئيسية عقدًا بعد عقد، جنبًا إلى جنب مع تباطؤ الاستثمار والإنتاجية. وقد تعرّضت الاقتصادات الرأسمالية لهبوط منتظم ومتكرر في الاستثمار والإنتاج بشكل متزايد الشدة في القرن الحادي والعشرين.





شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

تجاهل كورناي وميلانوفيتش ذلك. يستنتج ميلانوفيتش، كما فعل كورناي، التالي: "أعتقد، إلى حد كبير، أن [الرأسمالية] مستدامة. حتى لو استمرت جميع أشكال عدم المساواة على النحو الذي [هي] عليه، دون رادع. إنها مستدامة، إلى حد كبير، لأنه ليس لدينا مخطط لنظام بديل. ومع ذلك، فإن الشيء المستدام، والشيء الكفؤ، والشيء الجيد، هما شيئان مختلفان." إن ميلانوفيتش لا يحب الرأسمالية، ولكنه يستخدم عبارة مارغريت تاتشر في الإشارة إلى سياساتها النيوليبرالية للرأسمالية: إنه يعتقد أنه لا يوجد بديل [There Is No Alternative] (TINA). لذا يجب أن يكون الهدف، تمامًا كما جادل كينز في الثلاثينيات: "جعل الرأسمالية أكثر استدامة. وهذا بالضبط ما أعتقد أنه يجب علينا فعله الآن". بالنظر إلى التحديات الوجودية لتغير المناخ والتدهور البيئي، فإن "الرأسمالية المستدامة" تبدو مستحيلة بالنسبة لي كما بدت "الاشتراكية الديمقراطية" لكورناي.

(*) اقتصادي ماركسي بريطاني.

(* *) باحث وكاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة

إلى المصدر. 27 تشرين ثاني 2021

<http://iraqieconomists.net/ar/>